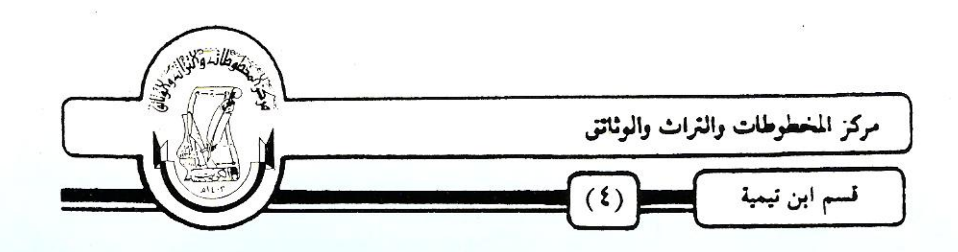


ترجمة

شيخ الإسلام ابن تيمية

(أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام)

في

التاريخ الكبير المقفى

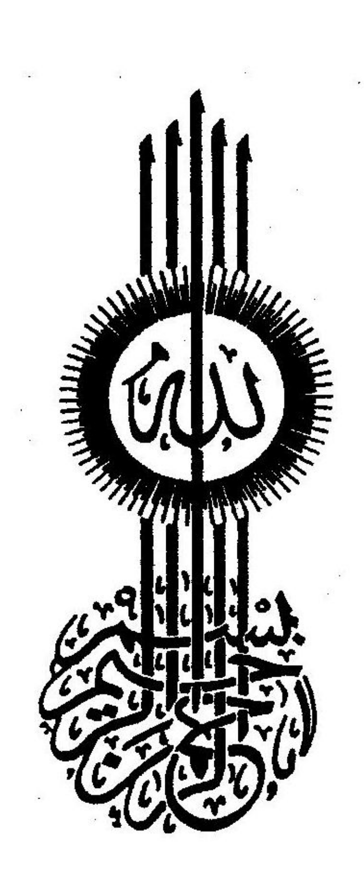
في تراجم أهل مصر والواردين إليها

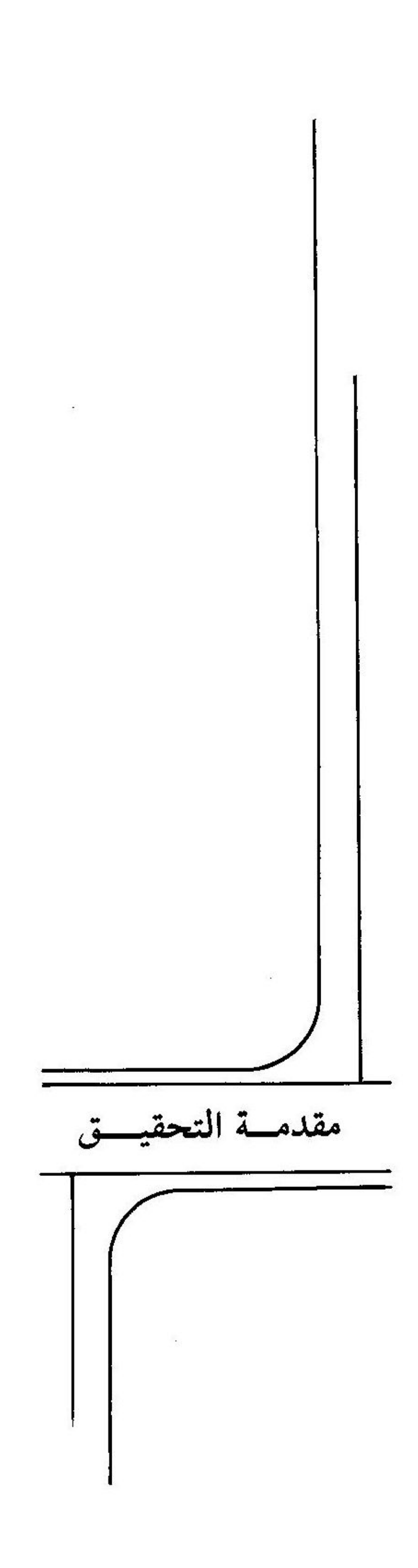
لأحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي
(ت ٨٤٥هـ)

تحقيق

محمد بن إبراهيم الشيباني

منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق
الكويت
٤٤


الله
بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمـة التحقيـق

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى. أما بعد،

تأتي هذه الترجمة الخامسة في سلسلة إحياء تراجم ابن تيمية المتفرقة بعد أربع ترجمات طبعت منذ سنوات في مكتبة ابن تيمية التجارية وهي:

* أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية.
* تقريظ للحافظ ابن حجر العسقلاني على الرد الوافر لابن ناصر.
* رسالة قصيرة في فضل شيخ الإسلام ابن تيمية ومحبة أهل العلم له.
* قطعة من مكتوب الشيخ الإمام الزاهد شهاب الدين أحمد بن مري الحنبلي.

والترجمة التي بين أيدينا هذه لشيخ الإسلام ابن تيمية صنفها المؤرخ المصري تقي الدين المقريزي (ت ٨٨٥هـ) ضمن كتابه العظيم «التاريخ الكبير المقفى في تراجم أهل مصر والواردين إليها» وقد وردت في الجزء الأول في الصفحات من ٩٦ إلى ١٠٣ من نسخة المكتبة السليمية (تأسست عام ١٣٢٥هـ بتركية) والتي تحمل رقم ٤٩٦ وتقع في ٤٤٩ ورقة وقياسها ١٨×١٦,٥سم ف ٨٩٢ كتبت في القرن التاسع بخط نفيس جداً، السطر فيه ٦٤ كلمة، والورقة فيها ٣١ سطراً، ولها نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية في القاهرة تحت رقم ٥١٠.

وأما نسخة باريس المكتبة الوطنية تحمل رقم ٢١٤٤ فتبدأ بحرف الطاء من اسمه طينال الأمير سيف الدين أحد مماليك الأشرف خليل بن قلاوون من ورقة ٢ وتنتهي بعبد الله بن القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن الباقر.. (بالورقة ٢٦٠). وهي نسخة واضحة ومرتبة ولكن ليس فيها ترجمة ابن تيمية.

وأما نسخة لايدن وتحمل رقم 1366 A وعدد أوراقها ٢٩٩ ورقة تبدأ بترجمة إبراهيم بن لاجين، وتنتهي بترجمة محمد بن طلحة بن أبي سفيان. فقد طلبت من المكتبة بأن يبعثوا لي فقط بالجزء الأول من الكتاب الذي يحتوي على ترجمة ابن تيمية ولكن وجدت هذه النسخة مشوشة وقد تداخلت فيها التراجم فمثلا تجد ترجمة إبراهيم وبعده أحمد ثم تدخل عليه تراجم مالك ومحمد ونظرة في هذه النسخة يظهر لنا فيها الآتي: أن هذه

النسخة مرممة كما هو واضح في أغلب صفحاتها فلهذا أسقطت منها تراجم كثيرة، الأمر الثاني: أنه في أثناء الترميم تبين ان المرمم قد أدخل عليها مخطوطة أخرى أو أوراقاً من مخطوطة لا تمت لتاريخ المقريزي بصلة فعندما تقرأ مقدمة هذه النسخة تجد هذه العبارات من مقدمة كتاب آخر وهذا واضح:

«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين.

(وبعد هذا جزء من عوالي أحاديث رواها الفقيه المحدث الزاهد أبو عبد الله محمد العاص بن الحسين علي بن عبد الله بن قطراك رحمه الله عزيزة الوجود سيما مع صحة المتن ونظافة السند وفقنا الله لطاعته).

وأما في الصفحة الأولى من الكتاب فتوجد عليها بعض السماعات ومن عباراتها:

رواية كاتبه أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي الشافعي عنه.

وأخرى سمع هذا الجزء بقراء كاتبه محمد بن محمد بن إدريس العلوي على مؤلفه تقي الدين أحمد بن عبد القادر المقريزي أبقاه الله...

وجاء كذلك: قرأت جميع هذا الجزء على شيخنا ومولانا الشيخ العالم الحافظ مؤرخ الزمان تقي الدين أحمد بن المرحوم .. بن المرحوم محيي الدين عبد القادر المقريزي الشافعي أبقاه الله تعالى.

وظني أن هذه قد تكون تابعة إلى كتاب المقريزي «المقفى» ولكنها جاءت في أول الكتاب وبعد «جزء العوالي ...) آنف الذكر لسوء فهم عند من قام بعملية الترميم ومع ذلك فان الشك يراودني أن تكون هذه السماعات لكتاب المقفى وهذا ما أميل إليه.

عموما فان نسخة لايدن هذه ليست كاملة بل ناقصة ومشوشة حتى إن اسمها جاء مغايراً ومختلفاً عن اسمها في النسختين (السليمية وباريس) وهو «طبقات مطرزي».

أما ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية في نسخة باريس هذه فكانت في ورقتين

(١٠-١١) لا غير وواضح السقط في نهاية الورقة الثانية حيث اختفت كلمات السطر الأخير منها.

* **ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية**

تميزت هذه الترجمة حسب دراستي لكتب شيخ الإسلام ابن تيمية والتراجم التي مرت عليّ والتي لا زالت مخطوطة ومررت عليها أن هذه الترجمة فيها من الفوائد التي استخلصتها وهي:

١ - أسلوب المقريزي التاريخي الشائق.
٢ - قوة عباراته.
٣ - إبراز الكثير من الحيثيات التي كانت غير مركز عليها في التراجم الأخرى.
٤ - أن الشيخ رُتِّبَ له في كل يوم في خلافة ابن قلوون دينار ومخطية وهي الجارية والمعروف عن الشيخ أنه لم يتزوج أو يتسرً وهذا دليل على تسريه.
٥ - إبراز مصنفات للشيخ دار حولها الجدل واللغط
٦ - إبراز أسماء شخصيات لم تكن بارزة في الكتب الأخرى.

وأخيراً: أن هذه الترجمة واحدة من تراجم كثيرة للشيخ ستخرج بإذن الله إلى حيز الوجود تركز على جانب من حياته المليئة بالجهاد والعلم والمناظرات والمساجلات والرحلات والتصنيف.

وسنضم ما سبق من تراجمه في مجلد واحد إن شاء الله لتعم الفائدة وسيطبع كتاب «أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» في طبعة جديدة منقحة ومزيدة. وهناك ملتقطات من تراجم مطبوعة في كتب قديمة ومجلات علمية ستجمع في صعيد واحد كذلك لتعم فائدتها للمستفيدين من محبي كتب الشيخ، وجميع هذه التراجم سيصدرها قسم شيخ الإسلام ابن تيمة في مركز المخطوطات والتراث والوثائق والله نسأل التوفيق والسداد.



مدير عام مركز المخطوطات والتراث والوثائق

ترجمة موجزة للمؤلـف

* اسمه وولادته ونشأته ومذهبه :

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد المقريزي الحنفي البعلي الأصل المصري المولد والدار والوفاة . الإمام العالم البارع عمدة المؤرخين ، وعين المحدثين ، ولد بعد سنة ٧٦٠هـ ونشأ بالقاهرة وتفقه على مذهب الحنفية ، وهو مذهب جده العلامة شمس الدين محمد بن الصايغ ، ثم تحول شافعياً بعد مدة طويلة .

* مشـايخـــه :

سمع الكثير من البرهان النشاوري والبرهان الآمدي ، والسراج البلقيني ، والزين العـراقي ، وسمـع بمكة من ابن سكر وغيره . وله إجازة من الشيخ شهاب الدين الأذرعي ، والجمال الأسنوي ، وغيرهما .

* علمـه ومناصبـه :

كان علماً من الأعلام ، ضابطاً ، مؤرخاً ، مفتياً ، محدثاً ، معظماً في الدول ، ولي حسبة القاهرة غير مرة ، وعرض عليه قضاء دمشق فأبى ، وكتب الكثير بخطه ، وانتقى وحصّل الفوائد ، واشتهر ذكره في حياته ، وبعد مماته ، في التاريخ وغيره . حتى صار يضرب به المثل ، وكان منقطعاً في داره ملازماً للخلوة والعبادة ، قل أن يتردد على أحد إلا لضرورة ، إلا أنه كان كثير التعصب على السادة الحنفية وغيرهم ، لميله إلى مذهب أهل الظاهر .

* إجازاتـه ومصنفاتـــه :

قال ابن تغري بردي : قرأت عليه كثيراً من مصنفاته ، وكان يرجع إلى قولي فيما أذكره له من الصواب ، وأجاز لي جميع ما تجوز له وعنه روايته .

ومن مصنفاتـــه :

- امتاع الأسماع فيما للنبي ﷺ من الحفدة والمتاع في ست مجلدات .
- كتاب الخبر عن البشر (ذكر فيه القبائل لأجل نسب النبي ﷺ) في أربع مجلدات وعمل له مقدمة في مجلد .
- كتاب السلوك في معرفة دول الملوك . في عدة مجلدات يشتمل على ذكر الحوادث إلى يوم موته .
- كتاب درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة . ذكر فيه من مات بعد مولده إلى يوم وفاته .
- كتـاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار . في عدة مجلدات وهو في غاية الحسن .
- كتاب مجمع الفرائد ومنبع الفوائد . كمل منه نحو الثمانين مجلداً كالتذكرة .
- كتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلقا . . . والخلقا بالقاف من خلق الإفك .
- إزالة التعب والعنى في معرفة حال الغنى .
- الإشارة والاعلام ببناء الكعبة والبيت الحرام . . .
- إغاثة الأمة بكشف الغمة .
- الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام .
- امتاع الأسماع فيما للنبي ﷺ من الحفدة والمتاع ، وهو كتاب نفيس حدث به في مكة .
- الأوزان والأكيال الشرعية .
- البيان والإعراب عما (عمن) في أرض مصر من قبائل الأعراب .
- تاريخ ملوك مصر وهو تاريخ مقفى في تراجم أهل مصر والواردين إليها . . . قال عنه صاحب النجوم الزاهرة : لو كمل هذا التاريخ على ما اختاره لجاوز الثمانين مجلداً .
- تجريد التوحيد .
- التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبين بني هاشم .

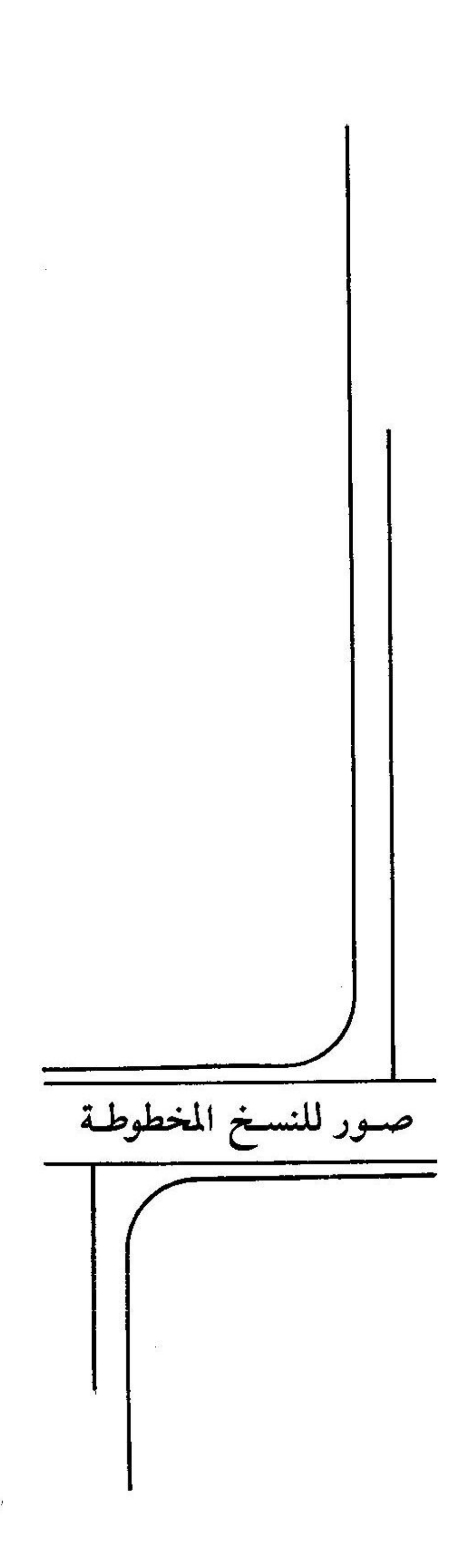
— حصول الأنعام والمير في سؤال خاتمة الخير .

وله غير ذلك من المؤلفات البديعة .

*** وفــاتـــــة :**

توفى يوم الخميس السادس عشر من شهر رمضان سنة (٨٤٥هـ) بالقاهرة، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر(*) .

(*) شذرات الذهب ٧/ ٢٥٤، ٢٥٥ .



صور للنسخ المخطوطة

١٥

احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية تقي الدين ابو العباس ابو المنعوت شيخ الاسلام بن الامام شهاب الدين ابي المحاسن بن العلامة مجد الدين ابي البركات ولد بحران يوم الاثنين عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وستمائة وقدم مع والده واهله دمشق في سنة سبع وستين وستمائة وسمع من ابن عبد الدائم وطبقته ثم طلب بنفسه قراءة وسماعا من خلق كثير وقرا بنفسه الكتب وكتب الطباق والاثبات ولازم السماع مدة سنين واشتغل بالعلوم وكان من اذكى الناس كثير الحفظ قليل النسيان قلما حفظ شيئا فنسيه الى ان صار اماما في التفسير وعلوم القران عارفا بالفقه واختلاف الفقهاء بارعا في الاصلين والنحو وما يتعلق به واللغة والمنطق وعلم الهيئة والجبر والمقابلة وعلم الحساب وعلم اهل الكتابين واهل البدع وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية حتى انه اذا تكلم معه فاضل في فن من الفنون الا ظن انه في ذلك الفن فقيه وصار حسنا عظيما ... عارفا برجاله وعلله متضلعا من ذكر ... التحرير والتاريخ

ومات ابوه في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وستمائة بدمشق وفي المحرم سنة ثلاث وثمانين ذكر الشيخ تقي الدين الدرس موضع والده بدار الحديث السكرية بالقصاعين وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين والشيخ تاج الدين الفزاري وزين الدين بن المرحل وزين الدين بن المنجا وجماعة وفي يوم الجمعة عاشر صفر جلس بجامع دمشق على المنبر لتفسير القران الكريم مكان والده وابتدا من اول الفاتحة وفي يوم الجمعة رابع شهر ربيع الاخر سنة تسعين وستمائة ذكر على كرسيه شيئا من الصفات فقام عليه نور الدين ابن مصعب وساعده الفقراء لمعتقد نجم الدين محمد الكردي وصدر الدين ابن الوكيل وجماعة ومشوا الى الشيخ سيف الدين المقدسي وزين الدين الفارقاني وسعوه من الجلوس فلم يمتنع وجلس في الجمعة الثانية وكان قاضي القضاة شهاب الدين محمد بن احمد الخويي حاكم دمشق اذ ذاك على عقيدة الشيخ تقي الدين فعوتب على ذلك فقال لا ارجع عنه صحيح ومواد كثيرة مهولة يقول الا الصحيح ثم ان القاضي شرف الدين المقدسي قال انا ارجو بركته ودعاه وهو صاحبي واخي واجتمع به وجيه الدين بن المنجا وزين الدين الخطيب فتبرأوا من العصبة وعتب والده صدر الدين فسكن الامر بعد

الورقة الأولى من نسخة باريس صفحة ١٠

ذلك وتوجه الى الحج في سنة اثنين وتسعين وعاد ولما كان في شهر
رجب دخل هو والشيخ زين الدين الفارقي الى الامير عز الدين ايبك الحموي نايب
دمشق وكلماه في امر النصراني الذي سب النبي صلى الله عليه وسلم فاجاب
الى احضاره وخرج الناس فراوا عساف بن احمد بن حجي الذي اجار
النصراني فكلموه في امره وكان معه رجل بدوي فقالت للناس عن
النصراني انه خير منكم فرجموه بالحجاره وهرب عساف فاستحضر النايب
ابن تيمية والفارقي واخرق بهما وامر بهما فضربا وحبسا في العذراويه
وضرب جماعه من العامه وحبس منهم سته نفر ... والبلد ...
وعقيب ذلك سعى النايب في اثبات العداوه بين النصراني وبين من شهد عليه
ليخلصه فخاف النصراني عاقبة هذه الفتنه واسلم فعقد النايب عنده
مجلسا حضره قاضي القضاه وجماعه من الشافعيه وافتوا بحقن دمه
بعد الاسلام وطلب الفارقي فوافقهم وطلب ابن تيمية وطيب خاطره
واطلقه وفي يوم الاربعا سابع عشر شعبان سنه خمس وتسعين درس
ابن تيمية بالمدرسه الحنبليه عوضا عن زين الدين بن المنجا وفي شهر ربيع
الاول سنه ثمان وتسعين قام جماعه من الشافعيه عليه لكلامه في الصفات
ووقعت بايديهم فتياه الحمويه فردوا عليه وانتصبوا لعداوته ووافقهم
القاضي جلال الدين الحنفي وامروا بالنداء على ابطال العقيده الحمويه
فعودي بذلك وانتصر له الامير سيف الدين جاغان المشد وطلب
الذين قاموا عليه وضرب المنادي وجماعه ممن كانوا معه وفي يوم الجمعه
ثالث عشره جلس على عادته وتكلم على قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم
وحضر من الغد عنده قاضي القضاه امام الدين القزويني وقريت العقيده
الحمويه بحضور جماعه وبحثوا فيها واجاب عما عنده وانفصل
المجلس وسكنت القضيه وفي شهر ربيع الاخر سنه تسع وتسعين وستمايه
خرج من دمشق مع جماعه الى غازان ملك التتر لما قدم الى الشام وكان
قد نزل تل راهط فلم يمكنه الوزير من لقا القان غازان فعاد ثم انه
توجه اليه ثانيا واجتمع به وكلمه بغلظه ووعظه وكف الله يد غازان
عنه ولما اعيدت الخطبه بجامع دمشق بعد رحيل غازان للملك الناصر

الورقة الثانية من نسخة باريس

طغربيل الايغاني الامير سيف الدين احد المماليك المنصورية قلاوون
سفر في الخدم وولي نيابة طرابلس ثم صرفه الاشرف خليل بن قلاوون
بايبك الخوندار في سنة اسس وعانين وستمايه واحضره الى مصر وانعم
عليه بامره وما زال من الامرا الكبار المهابين حتى مات في عاشر شهر
سنه تسع وسبعمايه وكان شجاعا عسوفا

١١

طغتمر الاحمدي الامير سيف الدين احد المماليك الناصرية محمد بن قلاوون
كان يعرف بينهم بطاسه وترقى في الخدم ثم استقر استادار عوضا عن
الامير مغلطاي عبد الواحد بعد قضيه اخر الحكوم سنه اسس واربعين وسبعمايه
ثم اخرج لنيابة صفد فاستمر بها مدة ونقل منها لنيابة حماه عوضا عن
الامير علم الدين سنجر الجاولي فلما نقل الامير يلبغا اليحياوي من نيابة حلب الى
نيابه دمشق استقر طغتمر عوضه في نيابة حلب ولم يوافق الامير يلبغا
على خلع الكامل شعبان فلما زالت دولته واخيه المظفر حاجي كاتب الامير
يلبغا في عزله فاجيب لذلك وعزل بالامير بيدمر البدري وطلب الى مصر
فاقام بها من جمله الامرا حتى مات في سنة سبع واربعين وسبعمايه
طغتمر النجمي الامير سيف الدين احد المماليك الناصرية محمد بن قلاوون
ترقى في الخدم حتى صار امرا ومقدما في ايام اولاد السلطان وتوجه مرارا الى
البلاد الشاميه في المهمات ثم اخرج لنيابة حمص ومات بها بعد قليل في سنة
سبع واربعين وسبعمايه

بعض نماذج من التراجم الموجودة في نسخة باريس التي بُدأت في المخطوطة

٩٦

محمد الجرازي ثم عن الكمال أبي الفضل محمد النويري واستغل بعد وفاته بقضاء مكة وخطابتها
مدة تقرب من سنتين ثم صرف عن ذلك فلازم الاشتغال بالحرم حتى مات في ثاني عشرين شهر
ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ه‍ أحمد بن عبد الباري بن عبد الرحمن
ابن عبد الكريم الصعيدي ثم الإسكندراني المقرئ المؤذن شهاب الدين ولد سنة بضع عشرة
وستمائة وقرأ القراآت على أبي القسم بن عيسى وسالم بن العراري وجعفر الهمداني وغيرهم وكان أحد
الصالحين لا نقيا له مسجد ويرود فيه ومات في أوائل سنة خمس وتسعين وستمائة
أحمد بن عبد الحاكم بن سعيد أبو علي الفارقي الوزير الأجل قاضي القضاة وداعي الدعاة
علم الدين بعد المعلى بن خليل أمير المؤمنين بتقلد في الحكم إلى أن ولى قضاء القضاة بعد القبض
على الوزير أبي محمد الحسن بن علي البازوري من قبل المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر في ثالث
عشرين صفر سنة خمسين وأربعمائة وصرف بأبي القسم عبد الحاكم بن وهب في ثالث ذي القعدة
من السنة المذكورة ثم أعيد بعد وفاة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن أبي زكريا في رابع عشر
ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وصرف في خامس رجب منها بأبي القسم عبد الحاكم بن وهيب
ثم ولي الوزارة والقضاء جميعا بعد موت أخيه عبد الكريم بن عبد الحاكم في رابع المحرم سنة
أربع وخمسين وصرف عن القضاء في صفر منها بأبي القسم بن عبد الحاكم بن وهيب وعن الوزارة
بعد سبعة عشر يوما مستبدا للدولة أبي عبد الله الحسن بن علي الماشلي وكان ناموسا ذيبا
فهما ولما بطل من التصرف سأل الفسحة له في المسير إلى القدس فأجيب إلى ذلك وسار إليه
فكانت وفاته بالشام في أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام
بن عبد الله بن أبي القسم بن محمد بن تيمية تقي الدين أبو العباس المعروف شيخ الإسلام ابن الإمام
شهاب الدين أبي المحاسن ابن العلامة مجد الدين أبي البركات الحراني الأصل الدمشقي المنشأ
والدار والوفاة ولد بحران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة وقدم مع
والده وأهله دمشق في سنة سبع وستين وستمائة وسمع من ابن عبد الدائم وطبقته ثم طلب
بنفسه وقرأ وسمع من خلق كثير وقرأ بنفسه الكتب وكتب الطباق والإثبات ولازم السماع
مدة سنين فبلغت شيوخه نحو مائتي شيخ واشتغل بالعلوم وكان من أذكى الناس كثير الحفظ قليل
النسيان قلما حفظ شيئا فنسيه إلى أن صار إماما في التفسير وعلوم القرآن عارفا بالفقه والخلاف
بارعا في الأصلين والنحو وما يتعلق به واللغة والمنطق وعلم الهيئة والجبر والمقابلة وعلم الحساب
وعلم أهل الكتابين وأهل البدع وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية حتى إنه ما تكلم معه
فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فنه [illegible] حفظه الحديث مميزا بين صحيحه وسقيمه
عارفا برجاله وعلله متضلعا من ذلك مع التبحر في علم التاريخ ومات أبوه في السابع والعشرين
من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وستمائة بدمشق في يوم الاثنين ثاني المحرم سنة ثلاث
وثمانين ذكر الشيخ تقي الدين الدرس موضعه والده الحديث من القصاعين وحضر عنده
قاضي القضاة بهاء الدين والشيخ تاج الدين الفزاري وزين الدين بن المرحل وزين الدين بن المنجا

أول الترجمة من المخطوطة في نسخة السليمية تبدأ بالورقة ٩٦

يا واحداً ليس يستثني به احدا ... من الانام ولا الجني ولا الذر

يا عالم الفضول الفقه اجمعها ... اعلى من طراز كما ذكروا

يا قامع البدع اللاتي تجنبها ... اهل الزمان وهذا البدو والحضر

ومرشد الفرقة الضلال نصحهم ... من الطريق فما حاروا ولا سهروا

الم تكن للنصارى واليهود معاً ... مجادلاً لهم في البحث قد حصروا

وكم [illegible] من عزا لمنتسب له ... رشد المقال فزال الجهل والغرر

ما [illegible] وامثالك الا انهم جهلوا ... عظيم قدرك لكن ساعد القدر

قالوا بانك قد اخطات مسئلة ... وقد يكون فلا منك تغتفر

غلطت في الدهر والخطاءات ولكن ... اما احدث اصابات مستنير

ومن يكون على التحقيق مجتهداً ... له الثواب على الحالين لا الوزر

الم تكن باحاديث النبي اذا ... سئلت تعرف ما ياتي وما تذر

حاشاك من شبه فيها ومن شبه ... كلا فما منك لا يبقى له اثر

عليك في البحث ان تبدي غوامضه ... وما عليك اذا لم تفهم البقر

وليت لله ما قدمت من عمل ... وما عليك بهم ذموك او شكروا

ما كان مثلك من يخفى عليه هدى ... ومن سمائك تبدو الانجم الزهر

ولك عذر من شيء نسبت به ... انت التقي كذا الخوف والحذر

وقال زين الدين عمر بن الوردي رحمه الله

عثا في عرضه قوم سلاط ... لهم من نثر جوهره التقاط

تقي الدين احمد خير حبر ... خروق المعضلات به تخاط

توفي وهو محبوس فريد ... وليس له الى الدنيا انبساط

ولو حضروه حين قضى لالفوا ... ملائكة النعيم به احاطوا

فيا لله ماذا ضم لحد ... ويا لله ما غطى البلاط

هم حسدوه لما لم ينالوا ... مناقبه فقد مكروا وشاطوا

وكانوا عن طرائقه كسالى ... ولكن في اذاه لهم نشاط

وحبس الدر في الاصداف فخر ... وعند الشيخ بالسجن اغتباط

بآل الهاشمي له اقتداء ... فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا

امام لا ولاية كان يرجو ... ولا وقف عليه ولا رباط

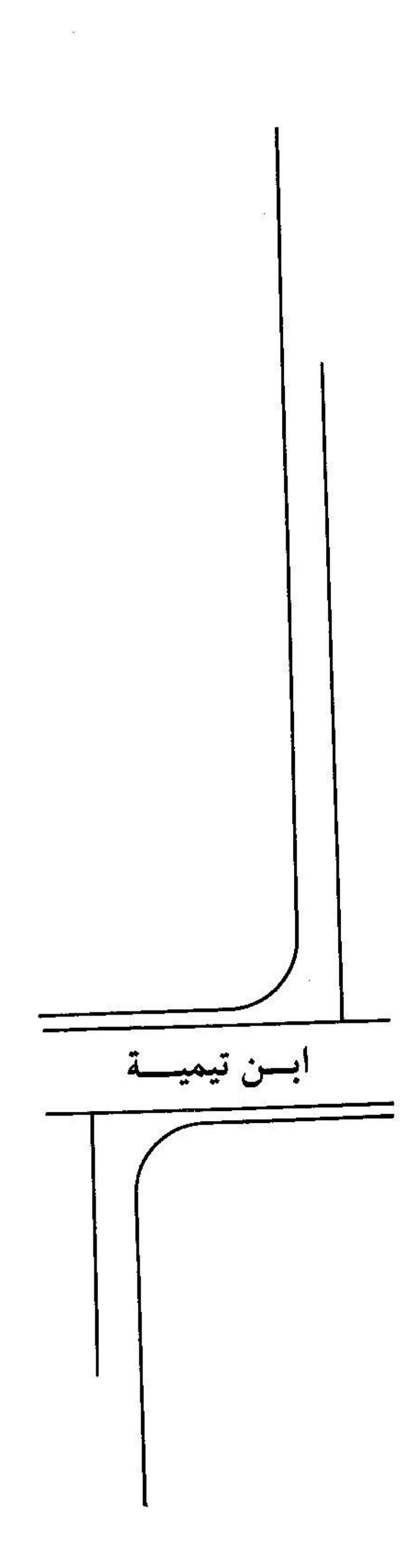
ولا جاراكم في كسب مال ... ولم يعهد له بكم اختلاط

ففيم قصدتم ما حاربتموه ... وسعيكم اذا انتصب الصراط

فما هو مات عنكم واسترحتم ... فعاطوا ما اردتم ان تعاطوا

وحلوا واعقدوا من غير رد ... عليكم وانطوى ذاك البساط

الورقة الأخيرة من الترجمة في صفحة ١٠٣ من مخطوطة السليمية بتركية


ابـــن تيميـــة

ابن تيميـــة[1]

* اسمه:

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد ابن تيمية، تقي الدين، أبو العباس، المنعوت «شيخ الإسلام»، ابن الإمام شهاب الدين أبي المحاسن، ابن العلامة مجد الدين أبي البركات، الحراني[2] الأصل، الدمشقي المنشأ والدار والوفاة.

* نشأته وشيوخه:

ولد بحران يوم الأثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة[3] وقدم مع والده وأهله دمشق في سنة سبع وستين وست مئة.[4] وسمع من ابن عبد الدائم وطبقته. ثم طلب بنفسـه قراءةً وسماعـاً من خلق كثير، وقرأ بنفسه الكتب، وكتب الطباق والأثبات، ولازم السماع مدة سنين فبلغت شيخوخه نحو مئة شيخ. واشتغل بالعلوم، وكان من أذكى الناس، كثير الحفظ، قليل النسيان، قلما حفظ شيئا فنسيه، إلى أن صار إماما في التفسير وعلوم القرآن، عارفاً بالفقه واختلافه، بارعاً في الأصلين، والنحو وما يتعلق به، واللغة والمنطق، وعلم الهيئة، والجبر والمقابلة، وعلم الحساب، وعلم أهل الكتابين وأهل البدع، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، حتى إنه ما تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فنه. وصار حُفَظَةً للحديث، مميزا

(١) الأعلام ١/ ١٤٤، شذرات الذهب ٦/ ٨٠، معجم المؤلفين ١/ ٢٦١، الدرر الكامنة ١/ ١٤٤، البدر الطالع ١/ ٦٣، طبقات المفسرين للداوودي ١/ ٤٦(٤٢)، ذيول العبر ٤/ ٨٤، المنهل الصافي ١/ ٣٥٨، فوات الوفيات ١/ ٧٤، أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٣، تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٤٩٦ (١١٧٥)، طبقات الحفاظ للسيوطي ٥٢٠ (١١٤٢).

(٢) بتشديد الراء. وآخره نون، يجوز أن يكون فعّالاً من حرن الفرس إذا لم ينقد، ويجوز أن يكون فعلان من الحر، وهي على طريق الموصل والشام والروم، وقيل سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام، لأنه أول من بناها فعربت فقيل حران.
معجم البلدان، لياقوت الحموي ٢/ ٢٣٥، ٢٣٦.

(٣، ٤) الأصل: ستمائة.

بين صحيحه وسقيمه، عارفا برجاله وعلله، متضلعا من ذلك مع التبحر في علم التاريخ.

* تدريسه الحديث بدمشق:

ومات أبوه في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وست مئة[1] بدمشق. وفي يوم الاثنين ثامن من المحرم ثلاث وثمانين، ذكر الشيخ تقي الدين للدروس موضع والده، بدار الحديث من القصاعين،[2] وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين،[3] والشيخ تاج الدين العزباوي[4]، وزين الدين ابن المرحل،[5] وزين الدين ابن المنجّى[6] وجماعة. وفي يوم الجمعة عاشر صفر، جلس بجامع دمشق على المنبر لتفسير القرآن الكريم مكان والده، وابتدأ من أول الفاتحة.

* الحملة الأولى عليه:

وفي يوم الجمعة رابع شهر ربيع الآخر سنة تسعين وست مئة،[7] ذكر على كرسيه شيئًا من الصفات[8]، فشنع عليه نور الدين بن مصعب، وساعده الفقير المعتقد نجم الدين بن محمد الحريري وصدر الدين ابن الوكيل، وجماعة. ومشوا إلى الشيخين شرف الدين المقدسي وزين الدين الفارقاني[9]، ومنعوه من الجلوس فلم يمتنع، وجلس في الجمعة الثانية. وقال قاضي القضاة شهاب الدين محمد بن أحمد بن الخوييّ[10] حاكم دمشق: أنا على عقيدة الشيخ تقي الدين - فعوتب على ذلك. فقال: لأن ذهنه صحيح، ومواده كثيره، فهو لا يقول إلا الصحيح.

ثم إن القاضي شرف الدين المقدسي قال: أنا أرجو بركته ودعاءه، وهو صاحبي وأخي.

---

(١) الأصل: ستمائة.

(٢، ٣، ٤، ٥، ٦) راجع أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية والتوضيح الجلي، للمحقق.

(٧) الأصل: ستمائة.

(٨) إن ما ذكره الشيخ في الصفات ليس خارج عن معتقد أهل السنة والجماعة وهذا من مفتريات ابن بطوطة على الشيخ في رحلته المزعومة إلى دمشق.

(٩) الأصل: الفارقاني وورد عند ابن كثير في البداية ١٣ / ٣٣٦، نفس الحادثة بالفارقي.

(١٠) الأصل: الخومي والصواب ما أثبتناه من البداية ١٣ / ٣٣٧ ويقول ابن كثير: إنه صنف كتباً كثير منها كتاب فيه عشرون فناً وله نظم في علوم الحديث وله كتاب المتحفظ ت ٦٩٣هـ .

واجتمع به وجيه الدين ابن المنجّى، وزين الدين الخطيب، فتبرأ من القضية، وعتب ولده صدر الدين، فسكن الأمر بعد ذلك.

* سباب النبي ﷺ:

وتوجه إلى الحج في سنة اثنتين وتسعين وعاد. فلما كان في شهر رجب سنة ثلاث وتسعين، دخل هو والشيخ زين الدين الفارقي إلى الأمير عز الدين أيبك الحموي نائب دمشق وكلماه في أمر النصراني الذي سب النبي ﷺ فأجابهما إلى إحضاره، وخرج الناس فرأوا عساف بن أحمد بن حجي[1] الذي أجار النصراني، فكلموه في أمره، وكان معه رجل من العرب، فقال للناس عن النصراني،: إنه خير منكم - فرجموه بالحجارة وهرب عساف فأحضر النائب لما بلغه ذلك، ابن تيمية والفارقاني وأخرق بهما. وأمر بهما فضربا، وحبسا في العذراوية، وضرب عدة من العامة وحبس منهم ستة نفر، وضرب والي البلد جماعة وعلقهم. وسعي النائب في إثبات العداوة بين النصراني وبين من شهد عليه، ليخلصه. فخاف النصراني عاقبة هذه الفتنة وأسلم. فعقد النائب عنده مجلساً حضره قاضي القضاة وجماعة من الشافعية، وأفتوه بحقن دم النصراني، بعد الإسلام. وطلب الفارقاني فوافقهم، وطلب ابن تيمية وطيب خاطره وأطلقه.

* عقيدته الحموية:

وفي يوم الأربعاء سابع عشر سنة خمس وتسعين، درس ابن تيمية بالمدرسة الحنبلية عوضاً عن زين الدين ابن المنجّى. وفي شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين، قام جماعة من الشافعية عليه، لكلامه في الصفات. ووقعت بأيديهم فتياه الحموية، فردّوا عليه وانتصبوا لعناده. ووافقهم القاضي جلال الدين الحنفي، وأمر بإطلاق النداء على إبطال العقيدة الحموية، فنودي بذلك. فانتصر له الأمير سيف الدين طوغان[2]

---

(١) وصوابه: ان عساف ليس ابن أحمد بن حجي وإنما عساف قد استجار بابن أحمد حجي أمير آل علي، البداية والنهاية ١٣/٣٣٥، وقد صنف ابن تيمية في هذه الواقعة كتابا سماه «الصارم المسلول على من ساب الرسول».

(٢) في البداية والنهاية (١٤/٤): الأمير سيف الدين جاعان.

المشـد، وطلب الذين قاموا عليه، وضرب المنادي، وجماعة ممن كانوا معه. وفي يوم الجمعـة ثالث عشر، جلس على عادته وتكلم على قوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. [القلم: ٤]. وحضر عنده من الغد قاضي القضاة إمام الدين القزويني، وقُرئت العقيدة الحموية بحضور جماعة، وحُوقِقَ على ما فيها فأجاب بما عنده وانفصل المجلس فسكنت القضية.

* ذهابه إلى غازان:

وفي شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة، خرج من دمشق في جماعة إلى غازان متملك التتر لما قدم إلى الشام، وكان قد نزل تل راهط. فلم يمكنه الوزير من لقاء غازان فعاد. ثم إنه توجه إليه ثانيا واجتمع به وكلمه بغلظه، فكفـ الله يد غازان عنه: وذلك أنه قال لترجمان الملك غازان: قل للقان: أنت تزعم أنك مسلم. ، ومعك قاض، وإمـام، وشيخ، ومؤذنون على ما بلغنا، فغزوتنا. وأبوك وجدك هولاكو كانا كافرين، وما عمِلا الذي عملت عامدًا، فوَفَيا. وأنت عاهدتَ فغدرْتَ، وقلت فما وفيت، ومر في مثل هذه المحاسبة، وقد حضر قضاة دمشق وأعيانها. فقدم إليهم غازان طعاماً فأكلوا، إلا ابن تيمية. فقيل له: لَمَ لا تأكل؟

فقال: كيف آكلُ من طعامكم، وكلّه مماّ نهبتُم من أغنام الناس وقطعتُم من أشجار الناس؟

ثمّ إنّ غازان طلب منه الدعاء. فقال في دعائه: اللهمَّ، إن كنتَ تَعلمُ أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وجهاداً في سبيلك، فأيّدْه وانصُره. وإن كان للمُلك والدنيا والتكاثر، فافعل به واصنع! يدعو عليه، وغازان يؤمّن على دعائه، وقضاة دمشق قد خافوا القتل وجمعوا ثيابهم خوفاً أن يبطشَ به غازان فيصيبهم من دمه. فلما خرجوا قال قاضي القضاة أبو العباس ابن الصصريّ لابن تيمية: كدتَ تُهلكنا معك. ونحن ما نَصْحَبْك من هنا!

فقال: وأنا لا أصاحبكم!

فأنطلقوا عُصبة وتأخر ابن تيمية في خاصة من معه. فلم يبق أحدٌ من الحراس

والأمراء حتى أتوه من كل جهة وتلاحقوا به ليتبركوا برؤيته. فما وصل دمشق إلا في نحو ثلاث مئة فارس في ركابه، ودخلوا. وأما القضاة فخرج عليهم جماعة فجردوهم من ثيابهم ودخلوا المدينة عراة[1].

* جهاده التتار:

فلما عاد غازان إلى بلاده، ركب ابن تيمية البريد إلى مهنأ بن عيسى واستحضره إلى الجهاد. وركب بعده إلى القاهرة واستنفر السلطان. وواجه بالكلام الغليظ أمراءه وعسكره. ولما جاء السلطان إلى شقحب لاقاه وجعل يشجعه ويثبته. فلما رأى السلطان كثرة التتار قال: ياخالد ابن الوليد!

فقال له: لا تقُل هذا بل قل: يالله! وآستغث بالله ربّك ووحدّه وحدَه تُنصَرْ، وقل: مالكَ يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين! - وما زال يقول دعاءَه على الخليفة المستكفي بالله، ودعاءَه للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون[2] ويهْديهما ويربط جأشهما، حتى جاء نصر الله والفتح. وقال للسلطان: أنت منصور فأثبت!

فقال له بعض الأمراء: قل: إن شاء الله!

فقال: إن شاء الله، تحقيقاً، لا تعليقاً! - فكان كما قال.

* أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

ولمّا أعيدت الخطبة بجامع دمشق - بعد رحيل غازان - للملك الناصر محمد بن قلاوون في يوم الجمعة سابع عشرين شهر رجب من السنة المذكورة، دار ابن تيمية بنفسه على ما جدد من الخمّارات وأراق خمورها وكسر أوانيها وشق ظروفها، وعزّر

---

(١) انظر في هذه القصة: ترجمة ابن تيمية لمحمد العناني.

(٢) الناصر محمد بن قلاوون: محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي، أبو الفتح، من كبار ملوك الدولة القلاوونية، ولي سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ، وخلع لحداثته سنة ٦٩٤هـ وأعيد للسلطنة بمصر سنة ٦٩٨هـ، ثم ترك السلطنة سنة ٧٠٨هـ، واستولى على الحكم مرة أخرى سنة ٧٠٩هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٤١هـ. الأعلام ١١/٧.

الحَمّارين هو وجماعتُه. وكان الناس يمشون معه، وهو يدور على الجماعات ويقرأ عليهم سورة القتال وآيات الجهاد وأحاديث الغزو والرباط والحرس، ويحثهم على ذلك.

فلمّا عاد التتار إلى حلب في سنة سبع مئة، وانجفَل الناس منهم، وكان قد خرج عسكر ورجع ركب ابنُ تيمية خيل البريد إلى مصر، فدخل إلى قلعة الجبل[1] في اليوم الثامن من خروجه من دمشق، وذلك في شهر جمادي الأولى، وحض على الجهاد في سبيل الله وأغلظ في القول. واجتمع بالسلطان وأركان الدولة. وأنزل بالقلعة ورُتِّبَ له في كل يوم دينار ومحظية[2] وبَعَثَ إليه السلطان بَقْجة قُماش. فلم يقبل من ذلك شيئا ثم عاد إلى دمشق وقد حرض الدولة على قتال التتار.

فلما كان أول ذي القعدة سنة إحدى وسبع مئة، قام عليه جماعة وسألوا الأمير أيبك الأفرم نائب دمشق منعه مما يتعاطاه من التعزير وإقامة الحدود. وكان قد حلق رؤوساً وضرب جماعة. ثم سكنت القضية.

وفي شهر رجب سنة ثلاث وسبع مئة، أحضر ابن تيمية إبراهيم القطان صاحب الدلق الكبير، وقص أظفاره وشعره المفتل وشاربه المسبل، وأمره بترك الصياح والفحش وأكل الحشيشة وترك لباس الدلق الكبير، وفتقه، وكان فيه قطع كثيرة من بسط وعبيّ[3].

وفي سابع عشر أحضر الشيخ محمد البلاسي[4] فتاب على يده، وأشهد عليه بترك المحرمات واجتنابها، وأنه لا يخالط أهل الذمة ولا يتكلم في تعبير الرؤيا ولا في شيء من العلوم بغير معرفة. وكتب عليه بذلك مكتوبا.

وفي يوم الأثنين سادس عشر منه، حضر ومعه عدة من الحجّارين، وقطع الصخرة التي بجوار مصلى دمشق حتى زالت وأراح الناس من أمرها: فإنها كانت تزار وينذرها الناس ويتبركون بها.

---

(١) قلعة الجبل: أمر ببنائها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة. البداية والنهاية ١٢/٢٩٧.

(٢) المحظية: الجارية.

(٣) العبيّ: جمع العباءة، والعباءة والعباءُ: ضرب من الأكيسة والجمع أعبئة. لسان العرب ٢/٦٦١.

(٤) البداية والنهاية، ١٤/٣٣، ٣٤.

* قتال الدروز في جبل كسروان :

وفي محرم سنة خمس وسبع مئة توجه مع الأفرم إلى جبل كسروان وغزا أهله وشد في وسطه السيف والتركاش وأفتى بقتالهم، وعاد وقد انتصر عليهم.

وفي جمادي الأولى اجتمع عند الأفرم جماعة من الفقراء الأحمدية والرفاعية، وحضر ابن تيمية. وأراد الفقراء إظهار شيء من أحوالهم. فقال: لا يسع أحدًا الخروج عن الشريعة بقول ولا فعل. وقال: هذه حيل يتحيلون بها في دخول النار وإخراج الزبد من الحلق. ومن أراد دخول النار فليغسل جسده في الحمام ثم يدلكه بالخل وبعد ذلك يدخل النار. ولو دخل لا يلتفت إلى ذلك، بل هو نوع من فعل الدجال عندنا. وكان جمعا كبيرا. فقال الشيخ الصالح شيخ المنيبع : نحن أحوالنا تنفق عند التتار، وما تنفق عند أهل الشرع.

وانفصل المجلس عل أنهم يخلعون أطواق الحديد، وأن من خرج عن الكتاب والسنة تضرب رقبته. وكتب ابن تيمية عُقيب هذه الواقعة جزءاً في حال الأحمدية ومبدأ أمرهم وأصل طريقهم، وما فيهما من الخير والشر.

* نصر المنبجّي المتصوف:

وكان قد ظهر الشيخ نصر الدين المنبجّي بمصر واستولى على أرباب الدولة حتى شاع أمره. فقيل لابن تيمية إنه اتحادي وأنه ينصر مذهب ابن عربي[1] وابن سبعين. فكتب إليه نحو ثلاث مئة سطر ينكر عليه. فتكلم نصر المنبجّى مع قضاة مصر في أمره، وقال: هذا مبتدعٌ، وأخاف على الناس من شره فحسّن القضاة للأمراء طلبه إلى القاهرة أن يعقد له مجلس بدمشق. فلما كان في يوم الأثنين ثامن شهر رجب، طلب ابن تيمية والفقهاء إلى القصر الأبلق[2] عند الأفرم. وسأله عن العقيدة فلما حضر عقيدته الواسطية وقرئت في المجلس ، وبحث معه فيها، وانفصل المجلس ولم يُكمل قراءتها.

---

(١) الأصل : ابن العربي وهو خطأ إنما هو ابن عربي الصوفي صاحب وحدة الوجود العقيدة الكافرة وأما ابن العربي فهو الأندلسي الأشعري صاحب كتاب «القواصم» المعرف بأل التعريف.

(٢) القصر الأبلق: داخل القلعة .

ثم اجتمعوا يوم الجمعة ثاني عشر بعد الصلاة، وحضر الشيخ صفي الدين الهندي وأقاموا للبحث معه. ثم أقاموا الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني فحاققه وبحث معه من غير مشايخه. فرضُوا ببحثه وأثنوا على فضائله وانفضوا، والأمر قد انفصل.

* مناظراته مع فقهاء دمشق:

فاتفق بعد ذلك أن بعض قضاة دمشق عزر شخصاً من أصحاب ابن تيمية وطلب جماعة ثم أطلقوا، فوقع هرج في البلد. وكان الأفرم قد خرج للصيد، فقرأ في يوم الأثنين ثاني عشرين رجب المذكور الشيخ جمال الدين المزي فصلاً في الرد على الجهمية من كتاب: «أفعال العباد» للبخاري[1]، تحت الستر فغضب بعض الفقهاء لذلك وقالوا: نحن المقصودون بهذا! ورفعوا الأمر إلى قاضي القضاة الشافعي. فطلبه ورسم عليه، فقام ابن تيمية وأخرج المزيّ من الحبس بنفسه، وخرج إلى القصر واجتمع هناك بقاضي القضاة وأثنى على المزي؛ فغضب القاضي وأعاد المزيّ[2] إلى الحبس فبقي أياماً. فرسم الأفرم فنودي في البلد بمنع الكلام في العقائد، ومن تكلم فيها حل دمه وماله ونُهبت داره وحانوته.

وعقد في تاسع شعبان مجلس ثالث بالقصر لابن تيمية، فرضي الجماعة بالعقيدة، وعزل قاضي القضاة نجم الدين نفسه بسبب كلام سمعه من ابن الزملكاني. ثم وردت ولايته من مصر.

فقام نصر المنبجي بالقاهرة وقال لقاضي القضاة زين الدين بن مخلوف المالكي[3]: قل للأمراء بأن ابن تيمية يخشى على الدولة منه، كما جرى لابن تومرت[4] في بلاد المغرب.

---

(١) كتاب «أفعال العباد» للبخاري طبع طبعات عدة ومن أحسنها تحقيق بدر البدر التي طبعته الدار السلفية في الكويت.

(٢) المزي: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، جمال الدين ابن الزكي، محدث الديار الشامية، ولد بظاهر بدمشق سنة ٦٥٤هـ، ونشأ بالمزة من ضواحي دمشق وتوفي في بغداد سنة ٧٤٢هـ، من مصنفاته: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحفة الأشراف، الكنى. الأعلام ٨/ ٢٣٦، ٢٣٧.

(٣) ابن مخلوف المالكي: علي بن مخلوف بن ناهض النويري المالكي قاضي المالكية بمصر، كانت ولايته ثلاثا وثلاثين سنة توفي سنة ٧١٨هـ، البداية والنهاية، ١٤/ ٩٠ ـ شذرات الذهب ٦/ ٤٩.

(٤) ابن تومرت: محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري، الملقب بالمهدي ويقال له مهدي =

فحدثهم في ذلك حتى يحلوا منه. فورد كتاب السلطان بإحضار ابن تيمية وإحضار قاضي القضاة نجم الدين ابن الصصري إلى مصر: فمانع الأفرم نائب دمشق وقال: قد عُقد له مجلسان بحضرتي وحضره القضاة والفقهاء، وما ظهر عليه شيء.

فقال له الرسول: أنا لك ناصح. وقد قال عنه الشيخ نصر المنبجي إنه يجمع الناس عليك ويعقد البيعة لغير السلطان.

فخاف النائب وبكى منه.

* أذية ابن تيمية وأصحابه:

فتوجها في ثاني عشر شهر رمضان على البريد. فلما دخل ابن تيمية إلى مدينة غزة عمل في جامعها مجلساً.

وتوجه إلى قلعة الجبل وقد كتب الأفرم معه كتاباً إلى السلطان، وكُتِبَ معه محضر فيه خطوط عدة من القضاة وكبار الصلحاء والعلماء بصورة ما جرى في المجلسين بدمشق، وأنه لم يثبت عليه فيهما شيء، ولا منع من الإفتاء. فلم يلتفت إلى ذلك.

وقصد ابن تيمية أن يعقد بالقلعة مجلسا، وأراد أن يتكلم فلم يُمكن من الكلام على عادته، وحبس في البرج أياماً. ثم نُقِل إلى الجب[1] ليلة عيد الفطر هو وأخواه[2].

وأكرم قاضي القضاة نجم الدين وخُلع عليه، وأعيدَ إلى دمشق، ومعه كتاب قُرئ بدمشق يتضمن مخالفة ابن تيمية في العقيدة وإلزام الناس بذلك، خصوصا أهل مذهبه، والوعيد بالعزل والحبس. ونودي بذلك في البلاد الشامية.

= الموحدين، واضع أسس الدولة المؤمنية الكومية ولد من قبيلة هرغة من المصامدة بالمغرب الأقصى سنة ٤٨٥هـ، خرج على ابن تاشفين وتلقب بالمهدي القائم بأمر الله، توفي في جبل تينملل سنة ٥٢٤هـ، وله كتب منها الجماعة العشرة وهي عن أول عشرة آمنوا به وبدعوته على غرار كتب السيرة. الأعلام ٢٢٨/٦، ٢٢٩.

(١) الجب: هو جب يوسف عبارة عن سجن. راجع كتاب «أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية للمحقق.

(٢) زين الدين وشرف الدين.

وكثر المتعصبون على ابن تيمية بالقاهرة وأوذي الحنابلة، وحبس تقي الدين عبد الغني ابن الشيخ شرف الدين الحنبلي. وألزم سائر الحنابلة بالرجوع عن عقيدة ابن تيمية، وشنع عليه وأشار القضاة على رفيقهم قاضي القضاة شرف الدين أبي محمد عبد الغني بن يحيى بن محمد الحراني بموافقة الجماعة، فوافق وألزم جماعة من أهل مذهبه بذلك وأخذ خطهم. ومر على الحنابلة مالم يجر عليهم مثله. وكان ذلك كله بقيام الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، تعصباً للشيخ نصر المنبجي.

وفي أوائل شهر ربيع الأول سنة ستّ وسبع مئة، اعتقل شرف الدين محمد بن نجيح الحراني[1]، أحد أصحاب ابن تيمية بقلعة الجبل، بعد أن اجتمع بالأمير سلار والأمير بيبرس وتكلم عندهما كلاماً طويلا. واستمر في الحبس إلى السادس شعبان فأطلقه الأمير سلار[2].

* **مجلس استتابة الشيخ:**

وفي سلخ شهر رمضان جمع الأمير سلار، ما خلا الحنبلي، والخزري، والنمراوي، وتكلم في إخراج ابن تيمية. فقال الفقهاء والقضاة بشرط أن يلتزم أموراً، منها الرجوع عن بعض العقيدة.

وبعثوا إليه ليحضر فلم يوافق على الحضور، وتكرر إليه الرسول مراتٍ، وهو مصمم على عدم الحضور، فانصرفوا من غير شيء.

فلما كان في ثامن عشرين ذي الحجة منها، ورد كتاب ابن تيمية من الجب على الأفرم يخبره بحاله. فأثنى الأفرم على علمه وشجاعته، وقال: إنه ما قبل شيئا من الكسوة السلطانية ولا من الأمراء، ولم يأخذ شيئا قل ولا جل.

---

(١) راجع أوراق مجموعة.

(٢) المصدر السابق.

فلما كان في صفر سنة سبع وسبع مئة اجتمع قاضي القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة الشافعي بالشيخ تقي الدين ابن تيمية في دار الأمير الأوحدي، بكرة الجمعة رابع عشر بقلعة الجبل وطال بينهما الكلام، وتفرقا قبل الصلاة.

وفي شوال شكا الشيخ كريم الدين الأملي شيخ الصوفية بالقاهرة، وابن عطاء وجماعة نحو الخمس مئة نفس، من ابن تيمية وكلامه في ابن عربي الصوفي وغيره، إلى أمراء الدولة. فردوا الأمر في ذلك إلى ابن جماعة. فعقد له مجلس، وادعى عليه ابن عطاء بأشياء لم يثبت منها شيء لكنه اعترف بأنه قال: لا يستغاث بالنبي ﷺ استغاثة بمعنى العبادة، ولكن يتوسل به فقال الحاضرون: ليس في هذا شيء.

ورأي ابن جماعة أن هذا إساءة أدب وعنفه على ذلك فحضرت رسالة إليه أن يعمل في ابن تيمية ما تقتضيه الشريعه في ذلك فقال: قد قلت له مايقال لأمثاله.

فلم يقنعهم ذلك. وخيروا ابن تيمية بين الإقامة بدمشق أو الإسكندرية بشرط الحبس فاختار الحبس.

ودخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق، ملتزما ماشرط، فأجابهم، وركب البريد ليلة الثامن عشر من شوال وسار فأرسل إليه من الغد بريد آخر رده إلى عند ابن جماعة، وقد اجتمع الفقهاء. قال بعضهم: ما ترضى الدولة إلا بالحبس.

فقال ابن جماعة: وفيه مصلحة له.

فاستناب شمس الدين التونسي المالكي، وأذن له أن يحكم عليه بالحبس، فامتنع وقال: ما ثبت عليه شيء.

فأذن لنور الدين الزواوي المالكي، فتحير فقال ابن تيمية: أنا أمضي إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة.

فقال الزواوي: فيكون في موضع يصلح لمثله.

فقيل له ما ترضى الدولة إلا بالحبس.

فأرسل إلى حبس القاضي، وأجلس في الموضع الذي أجلس فيه قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز لما حبس، وأذن له أن يكون عنده من يخدمه وكان هذا جميعه بإشارة نصر المنبجي.

* زيارة الناس إليه في الجب:

فاستمر في الحبس، يستفتى ويزوره الناس، وتأتيه الفتاوي الغريبة المشكلة من الأمراء والأعيان، إلى ليلة الأربعاء العشرين من شوال طلب أخواه زين الدين وشرف الدين، فُوجد زين الدين ورُسم عليه، وحُبس عند الشيخ تقي الدين.

فلم يزالا إلى أن قدِم مهنّأ بن عيسى أمير العرَب(*) إلى السلطان. فدخل على الشيخ و هو بالسجن، في أوائل ربيع الأول سنة تسع وسبع مئة، وزاره وأخرجه بعدما أستأذن في ذلك.

فخرج يوم الجمعة ثالث عشر منه إلى دار النيابة بالقلعة، وحضر الفقهاء وحصل بينهم وبينه بحث كثير إلى وقت الصلاة، ثم عادوا إلى البحث حتى دخل الليل، ولم ينفصل الأمر.

ثم اجتمعوا بمرسوم السلطان يوم الأحد خامس عشر منه مجموع النهار، وحضر أكثر الفقهاء، فيهم نجم الدين ابن الرفعة، وعلاء الدين التاجي، وفخر الدين ابن بنت أبي سعد، وعز الدين النمراوي، وشمس الدين ابن عدلان، ولم يحضر القضاة، وطلبوا فاعتذروا، وانفصل المجلس، وبات ابن تيمية عند النائب، فأشار الأمير سلار بتأخيره أياما ليرى الناس فضله ويجتمعوا به، فعقد له مجلس آخر بالمدرسة الصالحية بين القصرين.

(*) مهنأ بن عيسى أمير العرب مهنا (الثاني) بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائي، حسام الدين من آل فضل، ويلقب سلطان العرب، أمير بادية الشام، توفي سنة ٧٣٥هـ، قال ابن كثير: كان يحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية حباً زائداً، هو وذريته وله عندهم منزلة وحرمة وإكرام، الأعلام ١٣٧/٧.

* رجوعه إلى دمشق :

ثم أخرج من القاهرة إلى الإسكندرية مع أمير، ولم يمكّن أحد من جماعته أن يسافر معه. ودخل إليها ليلاً وحُبس في برج. ثم توجه إليه واجتمعوا به. فأقام إلى ثامن شوال. وطلب فسار إلى القاهرة، واجتمع بالسلطان في يوم الجمعة رابع عشر منه، فأكرمه وتلقاه في مجلس جعل فيه القضاة والفقهاء، وأصلح بينهم وبينه.

ونزل إلى القاهرة فسكن بجانب المشهد الحسيني[1]، وتردد الفقهاء والأمراء والأجناد وطوائف الناس إليه.

فلما كان من العشر الأوسط من شهر رجب سنة إحدى عشرة وسبع مئة ظفر به أحد المتعصبين عليه في مكان خال، فأساء عليه الأدب، وعلم بذلك أصحابه فحضر إليه كثير من الجند وتحدثوا بالانتصار له، فأبى ذلك ومنعهم منه.

ثم خرج إلى دمشق مع العسكر قاصداً الغزاة، وتوجه إلى القدس وسار على عجلون وزرعة، فدخل دمشق في أول ذي القعدة وقد غاب عنها أكثر من سبع سنين ومعه أخواه وجماعة من أصحابه. فخرج إليه خلق كثير، وسروا به سروراً كبيراً.

وفي يوم الأربعاء العشرين من شوال سنة ست عشرة وسبع مئة، توفيت والدته ست النعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحرانية بدمشق[2]، ودفنت بمقابر الصوفية. وكان مولدها في سنة خمس وعشرين وست مئة تقريبا، وولدت تسعة أولاد من الذكور، ولم ترزق بنتا.

---

(١) وقد ألف ابن تيمية رسالة في مشهد الحسين وهي تجيب عن سؤال المشهد المنسوب إلى الحسين رضي الله عنه بمدينة العامرة هل هو صحيح أم لا؟ وهل حمل رأس الحسين من دمشق إلى مصر أم حمل إلى المدينة من جهة العراق، وهل لما يذكره بعض الناس من جهة المشهد الذي كان بعسقلان صحة أم لا .. وغيرها من الأسئلة. انظر رسالة في مشهد الحسين لابن تيمية، رقم ٧/ ٢٠٥٤ مركز المخطوطات والتراث والوثائق.

(٢) راجع أوراق مجموعة (سيرة آل ابن تيمية).

* فتواه في الطلاق وزيارة القبور:

وفي يوم الخميس منتصف شهر ربيع الآخر سنة ثماني عشرة وسبع مئة اجتمع قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي بالشيخ تقي الدين، وأشار عليه بترك الإفتاء في مسألة الحلف بالطلاق فقبل إشارته[1].

فلما كان مستهل جمادي الأولى منها، ورد البريد من مصر، معه مرسوم السلطان يمنعه من ذلك، وفيه: «من أفتى بذلك نكل به». ونودي بذلك في البلد.

فلما كان يوم الثلاثاء تاسع عشر رمضان سنة تسع عشرة وسبع مئة جمع الفقهاء والقضاة عند الأمير تنكز نائب الشام، وقُرِئَ عليهم كتاب السلطان، وفيه فصل يتعلق بالشيخ تقي الدين بسبب فتياه في مسألة الطلاق، فعوقب على فتياه بعد المنع، وانفصل المجلس على توكيد المنع.

ثم عقد له مجلس في يوم الخميس ثاني عشرين شهر رجب سنة عشرين وسبع مئة بدار سعادة[2] من دمشق، وعاودوه في فتيا الطلاق وحاققوه عليها وعاتبوه بسببها، ثم إنهم حبسوه بقلعة دمشق فأقام بها إلى يوم الأثنين يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين، فأُخرج بعد العصر بمرسوم السلطان وتوجه إلى منزله، فكانت مدة سجنه بالقلعة خمسة أشهر وثمانية عشر يوما.

وفي يوم الأثنين بعد العصر، السادس من شعبان سنة ست وعشرين، اعتقل بقلعة دمشق بعدما حضر إليه بدر الدين أمير مسعود ابن الخطير[3]، الحاجب، بمرسوم السلطان بذلك، ومعه مركوب. فأظهر السرور وقال: أنا كنت منتظرا لذلك، وهذا فيه خير كثير، وكتب وهو معه في القلعة فأخليت له دار، وأجري له فيها الماء، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه بإذن السلطان، ورسم له بما يقوم بكفايته. وكان سبب هذه الكائنة فتوى وُجِدت بخطه في المنع من السفر وإعمال المطي إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وفتوى في أن الطلاق الثلاث بكلمة يُرَدُّ إلى واحدة.

---

(١) عند ابن كثير في البداية ١٤/٨٧(نصيحته).

(٢) الأصل السعادة والصواب ما أثبتناه.

(٣) في البداية ١٤/١٢٣ ابن الحظيري.

* منع الكتب عنه :

وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان، أمر قاضي القضاة جلال الدين القزويني بحبس جماعة من أصحابه بسجن الحكم. وكان ذلك بإشارة تنكز نائب الشام. وعزر جماعة على دواب ونودي عليهم، ثم أطلقوا إلا شمس الدين ابن قيم الجوزية، فإنه حبس بالقلعة.

وفي يوم الإثنين تاسع عشر جمادي الآخرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة أخرج ما كان قد اجتمع عند ابن تيمية بالمكان الذي هو فيه معتقل بقلعة دمشق من الكتب والكراريس والأوراق، ومن دواة وأقلام، ومنع من الكاتبة ومطالعة الكتابة وتصنيف شيء من العلوم البتة. وحُملت في مستهل شهر رجب من القلعة إلى مجلس الحكم، فوضعت بخزانة في المدرسة العادلية(*). وكانت أكثر من ستين مجلدا وأربع عشرة ربطة كراريس. فنظر القضاة والفقهاء فيها، وتفرقت في أيديهم. وكان سبب هذا أنه وجد له جواب عما رده عليه القاضي المالكي بديار مصر، وهو زين الدين ابن مخلوف، فأعلم السلطان بذلك فشاور القضاة فأشاروا بهذا.

(*) العدلية الكبيرة «خزانة الكتب».

قد ذكرنا في مؤلفنا أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية «نقلا عن البداية والنهاية ١٤/ ١٣٤ أنها رجعت بعد ذلك بحمد لله ومنته على أصلها وذلك عندما تولى القضاء فنادى ابن القيم وزين الدين أخو ابن تيمية في كتب الشيخ التي تفرقت بين الفقهاء الحاسدين آنذاك. وسميت هذه الحادثة بـ «الفرحة باستعادة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية» ولكن لم ترجع كل كتب الشيخ التي أخذت حيث إن الكثير منها تفرق بين الفقهاء الخصوم.

* مات ابن تيمية محبوساً بالقلعة:

ولم يزل بالقلعة حتى مات يوم الإثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة، فحضر جمع كبير إلى القلعة، وأذن لبعضهم في الدخول. وغُسل وصلى عليه بالقلعة، ثم حمل على أصابع الرجال، وأتوا بنعشه من القلعة إلى الجامع الأموي وحالما أُذِّن للظهر، صلى الإمام الشافعي، من غير أن ينتظر صلاة المشهد على العادة. ثم صلى عليه، وتوجهوا به إلى مقابر الصوفية. فلما وصلوا به إليها حتى أذّن للعصر. وأراد جماعة أن يخرجوا من باب الفرج أو باب النصر فلم يقدروا من شدة الزحام وحُمِل على الأيدي والرؤوس والأصابع. وكان الناس يلقون عمائمهم على نعشة ويجرونها إليهم طلبا للتبرك بذلك. وحزر من صلى عليه من الرجال فكانوا ستين ألفا، وخمسة آلاف امرأة. وقيل أكثر من ذلك. وكان في عنقه خيط عمل بالزئبق لأجل القمل وطرده، فاشترى بجملة مال.

مصنفـاتـه :

وكتب بخـطه من التصـانيف والتعـاليق المفيدة والفتـاوى المشبعـة، في الفـروع والأصول، والحديث، ورد البدع بالكتاب والسنة، شيئًا كثيراً يبلغ عدة أحمال. فمما كمل منها.

- كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول[1].
- وكتاب إبطال التحليل[2].
- وكتاب اقتضاء الصراط المستقيم[3].
- وكتاب تأسيس التقديس في عدة مجلدات[4].
- وكتاب الرد على طوائف الشيعة[5].
- وكتاب دفع الملام عن الأئمة الأعلام (أربع مجلدات).
- وكتاب السياسة الشرعية.
- وكتاب التصوف، وكتاب الكلم الطيب.
- وكتاب مناسك الحج.
- ومسائل كثيرة جدا يقوم منها عدات كثيرة من المجلدات[6].

وأكثر مصنفاته مسوّدات لم تُبيّض، وأكثر ما يوجد منها الآن بأيدي الناس قليل من كثير فإنه أُحرق منها شيء كثير ولا قوة إلا بالله.

ومع ذلك فقد قال الذهبي: ولعل تصانيفه في هذا الوقت أربعة آلاف كراس وأكثر، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجمع.

---

(١) طبع في حيدر آباد سنة ١٣٢٢هـ ، حققه / محمد محيي الدين عبد الحميد وصدر عن دار الكتب العلمية في بيروت.

(٢) طبع في مجموع في كردستان سنة ١٣٢٩هـ .

(٣) طبع بالهند سنة ١٣١٢هـ .

(٤) طبع.

(٥) يقصد به «منهاج السنة».

(٦) طبعت في برلين سنة ١٩١٤م بعناية الدكتور ويسل معه ترجمة بالألمانية.

فأظهرَ الحقّ إذ آثارُه اندرسَت   وأخمَدَ الشرّ إذ طارت له الشررُ
كُنّا نُحدَّثُ عن حبرٍ يجيء، فها   أنتَ الإمامُ الذي قد كان يُنتظَرُ

ثم دار بينهما كلام جرى فيه ذكر سيبويه، فتسرع ابن تيمية فيه بقول نافره عليه أبو حيان وقاطعه بسببه، ثم عاد أكثر الناس له ذما واتخذه ذنبا لا يغفر.

وكان قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس ابن صصري لا يسمح لمناظريه في بلوغ مرادهم من ضرره ويقول: ما لي وله؟

وحكى أبو حفص محمد بن علي بن موسى الزار البغدادي قال: حدثني الشيخ المقرئ تقي الدين عبد الله بن أحمد بن سعيد قال: مرضت بدمشق مرضة شديدة فجاءني ابن تيمية فجلس عند رأسي وأنا مثقل بالحمى والمرض. فدعا لي ثم قال: قم، جاءت العافية فما كان إلا قام وفارقني، وإذا بالعافية قد جاءت وشفيتُ لوقتي.

وقال فيه الإمام الأوحد القاضي الرئيس كاتب الأسرار شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري: هو البحر من أي النواحي جئته، والبدر من أي الضواحي أتيته، جرت آباؤه لشأو ما قنع به، ولا وقف طليحا من تعبه، طلبا لا يرضى بغاية، ولا تُقضي له نهاية. رضع ثدي العلم منذ فُطم، وطلع وجه الصباح ليحاكيه فلطم، وقطع الليل والنهار دائبين، واتخذ العلم والعمل صاحبين، إلى أن نُسِي السلفُ بِهُداه، وأنأى الخلَف عن بلوغ مداه:

وثقف الله أمراً بات يكلؤهُ   يَمْضِي حساماه فيه السيفُ والقلمُ
بهمّةٍ في الثريّا أثرَ أخمصِها   وعزمةٍ ليس من عاداتها السأَمُ

على أنه من بيت نشأت منه علماء في سالف الدهور، ونَشَأت منه عظماءُ على المشاهير الشهور، فأحيى معالم بيته القديم إذ درس، وجنى من فننه الرطيب ماغرس، وأصبح معالم في فضله آية إلا أنه آية الحرس، عرضت له الكدى فزحزحها، وعارضته البحار فضحضحها، ثم كان أمة وحده، وفرداً حتى نزل لحده، أخمل من القرناء كل عظيم، وأخمد من أهل البدع كل حديث وقديم، ولم يكن منهم إلا من يجفل عنه إجفال الظليم، ويتضائل لديه تضائل الغريم:

مـا كـان بعضُ النـاس إلاّ مثلَـما   بعـضُ الحصـى الياقـوتةُ الحمراءُ

جاء في عصر مأهـول بالعلماء، مشحـون بنجـوم السماء، تموج في جانبيه بحور خضـارم، وتطير بين خافقيه نسور قشاعم، وتشرق في أنديته بدور دجنة، وصدور أسنة، وتثار جنود رعيل، وتجار أسودُ غيل، إلا أن صباحه طمس تلك النجوم وبحره طم على تلك الغيوم، ففـاءت سمـرته على تلك التلاع، وأطلت قسورته على تلك السباع، ثم عبثت له الكتائب فحطم صفوفها، وخطم أنوفها. وابتلع غديره المطمئن جداولها، واقتلع طوده المرججن جنادلها، وأخمدت أنفاسها ريحه، وأكمدت شرارتهم مصابيحه:

تقـدّم راكـبـاً فيهـم إمـامـاً   ولـولاه لـمـا ركبـوا وراءً

فجمع أشتات المذاهب وشتات المذاهب[1]، ونقل عن أئمة الإجماع فمن سواهم مذاهبهم المختلفة واستحضرها، ومثل صورهم الذاهبة وأحضرها. فلو شعر أبو حنيفة بزمانه وملك أمره، لأدنى عصره إليه مقربا، أو مالك لأجري وراءه أشهبه وكوكبا، أو الشافعي، لقال: ليت هذا كان للأم ولدًا، أو: ليتني كنت له أبًا! أو الشيباني ابن حنبل، لما لام عذاره إذ غدا منه لفرط العجب أشيبا، لا، بل داود الظاهري وسنان الباطني[2]، لظنا تحقيقه من منتحله، أو ابن حزم والشهرستاني، لحشر كل منهما ذكره أمةً في نحله، والحاكم النيسابوري والحافظ السلفي، لأضاف هذا إلى مستدركه، وهذا إلى رحله. ترد إليه الفتاوي ولا يردها، وتفد عليه فيجيب عليها[3] بأجوبة كأنه كان قاعداً لها يعدها:

أبـداً على طـرف الـلسـان جوابُـه   فكـأنمـا هـي دفعـةٌ مـن صيّب
يغـدو مسـاجلُـه بغـرة صافـحٍ[4]   ويـروحُ معـترفـا بذلّـة مذنـبِ

---

(١) الأصل المذاهب والتصويب من الشهادة الزكية .

(٢) صاحب الدعوة الباطنية (ت٥٨٨هـ) وهو سنان بن سليمان .

(٣) في الشهادة الزكية والرد الوافر (عنها) .

(٤) في الرد الوافر: طامح.

انظر: زهير الشاويش في الرد الوافر ص٦٤ .

ثم اجتمعوا يوم الجمعة ثاني عشر بعد الصلاة، وحضر الشيخ صفي الدين الهندي وأقاموا للبحث معه. ثم أقاموا الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني فحاققه وبحث معه من غير مشايخه. فرضُوا ببحثه وأثنوا على فضائله وانفضوا، والأمر قد انفصل.

* مناظراته مع فقهاء دمشق:

فاتفق بعد ذلك أن بعض قضاة دمشق عزر شخصاً من أصحاب ابن تيمية وطلب جماعة ثم أطلقوا، فوقع هرج في البلد. وكان الأفرم قد خرج للصيد، فقرأ في يوم الأثنين ثاني عشرين رجب المذكور الشيخ جمال الدين المزي فصلاً في الرد على الجهمية من كتاب: «أفعال العباد» للبخاري[1]، تحت الستر فغضب بعض الفقهاء لذلك وقالوا: نحن المقصودون بهذا! ورفعوا الأمر إلى قاضي القضاة الشافعي. فطلبه ورسم عليه، فقام ابن تيمية وأخرج المزيّ من الحبس بنفسه، وخرج إلى القصر واجتمع هناك بقاضي القضاة وأثنى على المزي؛ فغضب القاضي وأعاد المزيّ[2] إلى الحبس فبقي أياماً. فرسم الأفرم فنودي في البلد بمنع الكلام في العقائد، ومن تكلم فيها حل دمه وماله ونُهبت داره وحانوته.

وعقد في تاسع شعبان مجلس ثالث بالقصر لابن تيمية، فرضي الجماعة بالعقيدة، وعزل قاضي القضاة نجم الدين نفسه بسبب كلام سمعه من ابن الزملكاني. ثم وردت ولايته من مصر.

فقام نصر المنبجي بالقاهرة وقال لقاضي القضاة زين الدين بن مخلوف المالكي[3]: قل للأمراء بأن ابن تيمية يخشى على الدولة منه، كما جرى لابن تومرت[4] في بلاد المغرب.

---

(١) كتاب «أفعال العباد» للبخاري طبع طبعات عدة ومن أحسنها تحقيق بدر البدر التي طبعته الدار السلفية في الكويت.

(٢) المزي: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، جمال الدين ابن الزكي، محدث الديار الشامية، ولد بظاهر بدمشق سنة ٦٥٤هـ، ونشأ بالمزة من ضواحي دمشق وتوفي في بغداد سنة ٧٤٢هـ، من مصنفاته: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحفة الأشراف، الكنى. الأعلام ٨/ ٢٣٦، ٢٣٧.

(٣) ابن مخلوف المالكي: علي بن مخلوف بن ناهض النويري المالكي قاضي المالكية بمصر، كانت ولايته ثلاثا وثلاثين سنة توفي سنة ٧١٨هـ، البداية والنهاية، ١٤/ ٩٠ ـ شذرات الذهب ٦/ ٤٩.

(٤) ابن تومرت: محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري، الملقب بالمهدي ويقال له مهدي =

فأرسل إلى حبس القاضي، وأجلس في الموضع الذي أجلس فيه قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز لما حبس، وأذن له أن يكون عنده من يخدمه وكان هذا جميعه بإشارة نصر المنبجي.

* زيارة الناس إليه في الجب:

فاستمر في الحبس، يستفتى ويزوره الناس، وتأتيه الفتاوي الغريبة المشكلة من الأمراء والأعيان، إلى ليلة الأربعاء العشرين من شوال طلب أخواه زين الدين وشرف الدين، فُوجد زين الدين ورُسم عليه، وحُبس عند الشيخ تقي الدين.

فلم يزالا إلى أن قدِم مهنّأ بن عيسى أمير العرَب(*) إلى السلطان. فدخل على الشيخ و هو بالسجن، في أوائل ربيع الأول سنة تسع وسبع مئة، وزاره وأخرجه بعدما أستأذن في ذلك.

فخرج يوم الجمعة ثالث عشر منه إلى دار النيابة بالقلعة، وحضر الفقهاء وحصل بينهم وبينه بحث كثير إلى وقت الصلاة، ثم عادوا إلى البحث حتى دخل الليل، ولم ينفصل الأمر.

ثم اجتمعوا بمرسوم السلطان يوم الأحد خامس عشر منه مجموع النهار، وحضر أكثر الفقهاء، فيهم نجم الدين ابن الرفعة، وعلاء الدين التاجي، وفخر الدين ابن بنت أبي سعد، وعز الدين النمراوي، وشمس الدين ابن عدلان، ولم يحضر القضاة، وطلبوا فاعتذروا، وانفصل المجلس، وبات ابن تيمية عند النائب، فأشار الأمير سلار بتأخيره أياما ليرى الناس فضله ويجتمعوا به، فعقد له مجلس آخر بالمدرسة الصالحية بين القصرين.

(*) مهنأ بن عيسى أمير العرب مهنا (الثاني) بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائي، حسام الدين من آل فضل، ويلقب سلطان العرب، أمير بادية الشام، توفي سنة ٧٣٥هـ ، قال ابن كثير: كان يحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية حباً زائداً، هو وذريته وله عندهم منزلة وحرمة وإكرام، الأعلام ١٣٧/٧ .

ولقد تظافرت عليه عصب الأعداء فألجموا إذ هدر فحله، وأفحموا إذ زمزم ليجني الشهدَ نحلُه. ورفع إلى السلطان غير ما مرة، ورمي بالكبائر، وتربصت به الدوائر، وسُعي به ليؤخذ بالجرائر، وحسده من لم ينل سعيه وكثر فارتاب، ونم فما زاد على أنه اغتاب.

وأُزعج من وطنه تارة إلى مصر ثم إلى الإسكندرية، وتارة إلى محبس القلعة بدمشق، وفي جميعها يودع أخبية السجون، وبلدغ بزبانى المنون، وهو على علم يسطر صحفه، ويدخر تحفه، وما بينه وبين الشيء إلا أن يصنفه، ويُقرِّط به ولو سَمْعَ آمرىٍ واحد ويشنفه، حتى تستهدي أطراف البلاد طرفه، وتستطلع ثنايا الأقليم شرفه، إلى أن خطفه آخر مرة من سجنه عقاب المنايا، وجذبته إلى مهواتها قرارة الزرايا.

وكان قبل موته مُنِعَ الدواة والقلم طابع [وطبع على قلبه] منه الألم فكان مبدأ مرضه ومنشأ عرضه، حتى نزل قفار المقابر، وترك فقار المنابر، وحل ساحة تربه وما يحاذر، وأخذ راحة قلبه من اللائم والعاذر، فمات، لا بل حيي، وعرف قدره لأن مثله مارُئِي.

وكان يوم دفنه يوماً مشهودًا ضاقت به البلد وظواهرها، وتذكرت به أوائل الرزايا، وأواخرها، ولم يكن أعظم منها منذ مئين سنين جنازة رفعت على الرقاب، ووطئت في زحامها الأعقاب، وسار مرفوعا على الرؤوس، متبوعاً بالنفوس، تحدوه العبرات، وتتبعه الزفرات، وتقول له الأمم: لا فقدت من غائب! ولأقلامه النافقة: لا أبعدكن الله من شجرات!

وكان في مدد ما يؤخذ عليه في مقاله وينبذ في حُفرة اعتقاله لا تبرد له غلة في الجمع بينه وبين خصمائه بالمناظرة، والبحث حيث العيون ناظرة، بل يبدر حاكما فيحكم باعتقاله ويمنعه من الفتوى، أو بأشياء من نوع هذه البلوى، لا بعد إقامة بيّنة ولا تقدم دعوة ولا ظهور حجة بالدليل، ولا وضوح محجة للتأميل. وكان يجد لهذا مالا يزاح فيه ضرر شكوى، ولا يُطفأ ضرم عدوى:

وكل آمرىٍ حاز المكارم محسود

كضرائر الحسناءِ قُلنَ لوجهها   حسداً وبغضاً إنّه لدَميمُ

كل هذا لتبريزه في الفضل حيث قصّرت النظراء، وتجليه كالمصباح إذ أظلمت

الآراء[1]، وتقريبه لجهلة العوام وأهل المراء[2]، وما أفتى به آخراً في مسألتي الزيارة والطلاق[3]، وإذاعته لهما حتى تكلم فيهما من لا دين له ولا خلاق، فسلط وبال الأعداء على سليطه، وأطلق أيدي الاعتداء في تفريطه، ولقم نارهم سعفه، وأرى أقساطهم شرفة. فلم يزل إلى أن مات عِرضه منهوبا وعَرضه موهوبا، وصفاته تتصدع ورفاته لا تتجمع. ولعل هذا لخير أريد به وأريغ له بحسن منقلبه. وكان تعمّده للخلاف، وتقصده لغير طريق الأسلاف، وتقويته للمسائل الضعاف، وتعويضه عن رؤوس السعاف تغيّر مكانته من خاطر السلطان، وتسبب له التغرب عن الأوطان، وتنفذ إليه سهام الألسنة الرواشق، ورماح الطعن في يد كل ما شق. فلهذا لم يزل منغصا عليه طول مدته، لاتكاد تنفرج عنه جوانب شدته.

هذا مع ما جمع من الورع، وإلى ما فيه من العلا وما حازه بحذافير الوجود من الجود: كانت تأتيه القناطر المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة والأنعام والحرث، فيهبه بأجمعه، ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه، لا يأخذ منه شيئا إلا ليهبه، ولا يحفظه إلا ليذهبه كله في سبيل البر وطريق أهل التواضع لا أهل الكبر.

لم يمل به حب الشهوات ولا حُبِّبَ إليه من صلات الدنيا غير الصلاة، ولقد نافست ملوك جانكيز خان عليه، ووجهت دسائس رسلها إليه، وبعثت تجدُّ في طلبه، فنوسيت عليه لأمور أعظمها خوفُ توثبه. وما زال على هذا ومثله إلى أن صرعه أجله، وأتاه بشير الجنة يستعجله، فانتقل إلى الله، والظن به أنه لا يخجله.

قال: وحكي عن شجاعته في مواقف الحرب نوبةُ شقحب، ونوبة كسروان، مالم يسمع إلا عن صناديد الرجال، وأبطال اللقاء وأحلاس الحرب، تارة يباشر القتال وتارة يحرض عليه.

---

(١) أين الآراء التي زيفها ابن تيمية بل إن آراءه اليوم تدرس في جميع المجامع العلمية والجامعات في كل بقاع الأرض عند العرب والغرب.

(٢) أما إن كان يعني ابن القيم والمزي والذهبي وغيرهم هم أصل المراء فهذا داء عظيم في الرأي والنقل.

(٣) أما مسألة الزيارة والطلاق فهاتان المسألتان من مسائل عصره الذي تعطل فيه العقل كثيرا عند خصومه الذين أسرفوا في البدع وغالوا فيها حتى أصبحت المسائل البدعية مثل شد الرحال لقبر النبي ﷺ من أساسيات الدين عندهم. وأما مسألة الطلاق فالحال الذي عليه الجامعات والمجامع العلمية كفيل بالرد عليهم حيث أخذوا بعد تمنع بمسألته هذه.

قال: وكان يجيئه من المال في كل سنة ما لا يكاد يحصى فينفقه جميعه آلافاً ومئين، لا يلمس منه درهما ولا ينفقه في حاجة له. وكان يعود المرضى ويشيع الجنائز، ويقوم بحقوق الناس، ويتألف القلوب، ولا ينسب إلى باحث لديه مذهبا، ولا يحفظ لمتكلم عنده زلة ، ولا يشتهي طعاما ولا يمتنع عن شيء منه، بل هو مع ماحضر لا يتجهم مرآه، ولا يتكدر صفوه ولا يسأم عفوه، قال: ورئيت له منامات صالحة.

* مرثية ابن فضل الله العمري فيه:

ورثاه جماعات من الناس بالشام ومصر والعراق والحجاز والمغرب من آل الفضل.

(قال) ورثيته بقصيده لي، وهي [بسيط]:

أهكذا بالدياجي يحجب القمر ... ويُحبس النوءُ حتى يذهبَ المطرُ؟
أهكذا تمنع الشمسُ المنيرة عن ... منافع الأرض أحيانا فتستَترُ؟
أهكذا الدهر ليلا كلّه أبدًا ... فليس يعرف في أوقاته سحَر؟
أهكذا السيف لا تمضي مضاربُه ... والسيف في الفتك ما في عزمه خور؟
أهكذا القوس ترمي بالعراء وما ... تصمى الرَمايا وما في باعها قصر؟
أهكذا يترك البحرُ الخضمُّ ولا ... يلوى عليه، وفي أصدافِه الدّرر؟
أهكذا بِتَقِيِّ الدينِ قد عبَثت ... أيدي العـ دى وتعدّى نحوَه الضررُ؟
ألابنِ تيميّةٍ تُرمى سهامُ أذًى ... من الأنام ويدمى النابُ والظفُر؟
بذ السوابقَ ممتدَّ العبادةِ لا ... ينالُه ملَلٌ فيها ولا ضجر
ولم يكن مثله بعد الصحابة في ... علم عظيمٍ وزهدٍ ما له خطرُ
طريقُه كان يمشي قبل مشيتِه ... بها أبو بكرٍ الصدّيقُ أو عمرُ
فردُ المذاهب في أقوال أربعةٍ ... جاؤوا على أثر السُّبّاقِ وابتدروا
لمّا بنَوا قبله عُليا مذاهبهم ... بنى وعمّر منها مثلَ ما عمَروا
مثل الأئِمّة قد أحيا زمانَهُم ... كأنّه كان فيهم وهو منتَظَر
إن يرفعوهم جميعًا رفعِ مبتدإٍ ... فحقُّه الرفع أيضًا إنّه خبرُ
أمثلُه بينكم يُلقَى بمضيَعةٍ ... حتّى يطيح له عمدا دمٌ هدَرُ
يكونُ وهْوَ أمانيٌّ لغيركُم ... تنوبه منكُمُ الأحداثُ والغِير

والله لو أنّه في غير أرضكمُ ... لكان منكم على أبوابه زُمَرُ
مثل ابن تيميّةٍ يُنسى بمحبسه ... حتى يموت ولم يُكحَل به بصر
مثل ابن تيميّةٍ ترضى حواسدُه ... بحبسِه ولكُمْ في حبسِه عذر
مثل ابن تيميّةٍ في السجن معتقَلٌ ... والسجن كالغمدِ وهو الصارمُ الذكرُ
مثل ابن تيميّةٍ يُرمى بكلِّ أذًى ... وليس يُجلى قذى منه ولا نظَرُ
مثل ابن تيميّةٍ تذوى خمائلُه ... وليس يُلقط من أفنانِه الزهَر
مثل ابن تيميّةٍ شمسٌ تغيبُ سُدى ... وما ترِقُّ لها الآصال والبكر
مثل ابن تيميّةٍ يمضي وما عقبت ... بمسكه العاطِرِ الأردانُ والطررُ!
مثل ابن تيميّةٍ يمضي وما نهلَت ... له سيوفٌ ولا خطّية سمُر
ولا تجاري له خيلٌ مسوّمَةٌ ... وجوهُ فرسانها الأوضاحُ والغرَرُ
ولا تحفّ به الأبطالُ دائرةً ... كأنهُم أنجمٌ في وسطها قمَر
ولا تعبس حربٌ في مواقِفه ... يوماً ويضحكُ في أرجائه الظفرُ
حتّى يقومَ هذ الدين مِن مَيَلٍ ... ويستقيم على منهاجه البشرُ
بل هكذا السلفُ الأبرارُ ما برِحُوا ... يُبلى اصطبارهُم جهدًا وهم صبُرٌ
تأسَّ بالأنبياءِ الطُّهر كم بلغَتْ ... فيهم مضرّةُ أقوام وكم هُجروا
في يوسف في دخول السجن منقبة ... لمن يكابدُ ما يلقى ويصطبرُ
ما أهمِلوا أبدًا، بل أمهلوا لمدًى ... والله يُعقِبُ تأييدًا وينتصِرُ
أيذهبُ المنهلُ الصافي وما نُقعت ... به الظماءُ ويَبْقَى الحمأةُ الكدر؟
مضى حميدًا ولم يعلق به وضرٌ ... وكلّهم وضرٌ في الناس أو وذر
طوْدٌ من الحِلم لا تُرقى له قُننٌ ... كأنّما الطودُ من أحجاره حجرُ
بحرٌ من العلم قد فاضت بقيّتُه ... فغاضت الأبحرُ العظمى وما شعروا
ياليت شعريَ هل في الحاسدين له ... نظيره في جميع القوم إن ذُكِروا
هلْ فيهمُ لحديث المصطفى أحدٌ ... يميّزُ النقدَ أو يُروى له خبرُ؟
هل فيهم من يضمّ البحث في نظرٍ ... أو مثله من يضمّ البحثُ والنظرُ؟
هلاَ جمعتُمْ له من قومكم ملأً ... كفعل فرعَوْنَ مَعْ مُوسى لتعتبروا؟
قولوا لهم: قال هذا فابحثوا معه ... قدّامَنا وانظروا الجهّالَ إن قدروا؟
تُلقي الأباطيلَ أسحَارٌ لها دهشٌ ... فيلقف الحقُّ ما قالوا وما سحروا

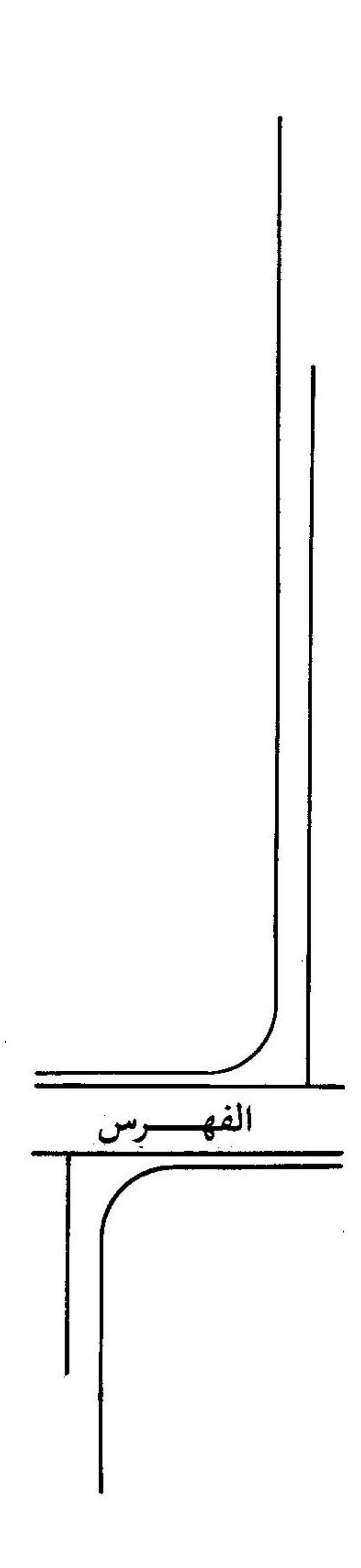
فليتهُم مثل ذاك الرهطِ من ملأٍ ... حتى يكون لكم في شأنه عِبَر
وليتهم أذعنوا للحق مثلهم ... فآمنوا كلّهم من بعد ما كفروا
يا طالما نفروا عنه مجابنةً ... وليتهم نَفعوا في الضيم أو نفروا
هل فيهُمُ صادح بالحقّ مقولُه ... أو خائض للوغي والحرب تَسْتَعِرُ؟
رمي إلى نحر غازانٍ مواجهةً ... سِهامَه من دعاءٍ عونُه القَدَرُ
بتلٍّ راهطَ والأعداءُ قد غلبوا ... على الشآم وطار الشرّ والشرر
وشَقّ في المرج والأسياف مسلطةٌ ... طوائف كلّها أو بعضُها التتر
هذا وأعداؤه في الدور أشجعهم ... مثلَ النساء بظلّ الباب مُستتِر
وبعدها كسروانٌ والجبال وقد ... أقام أطوادها والطوْد منفطِر
واستحصد القوم بالأسياف جهدهم ... وطالما بطلوا طغوى وما بطروا
قالوا: قبرناه، قلنا: إن ذا عجبٌ ... حقًّا ألكواكب الدرّيّ قد قبُروا؟
وليس يذهبُ معنًى منه متّقدٌ ... وإنّما تذهبُ الأجسام والصور
لم يبْكِه ندما من لا يصبّ دمًا ... تجري به ديماً تهمي وتنهمِر
لهفي عليك أبا العبّاس كم كرم ... لما قَضيتَ قضى من عمره العمرُ
سَقَى ثراك من الوسميّ صيّبه ... وزان مغناك قطرٌ كلّه قطر
ولا يزال له برقٌ يغازله ... حلوُ المراشف في أجفانه حور
لفقدِ مثلِك يا مَن ما له مثلٌ ... تأسى المحاريبُ والآياتُ والسورِ
يا وارثا من علوم الأنبياء نُهًى ... أورثتَ قلبيَ نارًا وقدُها الفِكَرُ
يا واحداً لستُ أستثْنِي به أحدًا ... من الأنام ولا أُبقِي ولا أذرُ
يا عالمًا بنقول الفقهِ أجمعِها ... أعنك تحفظ زلّاتٌ كما ذكروا؟
يا قامعَ البدَع اللاتي تجنّبها ... أهلُ الزمان، وهذا البدوُ والحضرُ
ومُرشد الفرقةِ الضلّالِ نهجَهُم ... من الطريق فما حارُوا ولا سهروا
ألم يكن للنصارى واليهود معا ... مجادلا ، وهمُ في البحث قد حَصِرُوا
وكم فتًى جاهلٍ غِرٍّ أمنتَ له ... رُشدَ المقال فزال الجهلُ والغرر
ما أنكروا منك إلّا أنّهمْ جَهِلوا ... عظيم قدرِك لكن ساعد القدر
قالوا بأنّك قد أخطأتَ مسألةً ... وقد تكون، فهلاّ منك تُغْتَفَرُ؟
غلطتَ في الدهرِ أو أخطأتَ واحدة ... أمَا أجَدتَ إصاباتٍ فتعتذرُ

ومَن يكون على التحقيق مجتهدًا | له الثوابُ على الحالَين، لا الوزرُ
ألم تكن بأحاديث النبيّ إذا | سُئِلتَ تعرِفُ ما تأتي وما تذر؟
حاشاك من شبُهٍ فيها ومن شبهٍ | كلاهُما منك لا يبقى له أثرُ
عليك في البحث أن تبدي غوامضَهُ | وما عليك إذا لم تفهم البقر
قدّمتَ لله ما قدّمتَ من عملٍ | وما عليك بهم، ذمّوك أو شكروا
هل كان مثلُك من يخفى عليه هدى | ومن سَمائك تبدو الأنجمُ الزهر
وكيف تحذر من شيءٍ تزلّ به | أنت التقيّ فماذا الخوفُ والحذر؟

*** مرثية ابن الورديّ فيه:**

وقال زين الدين عمر بن الورديّ[1] يرثيه وافر:

عثا في عِرضه قومٌ سلاط | لهُم من نثر جوهره التقاط
تقيّ الدين أحمدُ خير حَبرٍ | خُروق المعضلاتِ به تُخَاط
توفّيَ وهو محبوس فريد | وليس له إلى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لألفوا | ملائكةَ النعيم به أحاطوا
فيا لله ماذا ضمّ لحدٌ | ويا لله ما غطّى البلاط!
فكمْ حسدُوه لمّا لم ينالوا | مناقبَه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كُسالى | ولكن في أذاه لهم نشاط
وحَبسُ الدرّ في الأصداف فخر | وعند الشيخ بالسجن اغتباط
بآل الهاشميّ له اقتداءٌ | فقد ذاقوا المنونَ وما تواطوا
إمامٌ لا ولاية كان يرجو | ولا وقفٌ عليه ولا رباط
ولا جاراكمُ في كسب مالٍ | ولم يعهد له بكمُ اختلاط
سيظهر قصدكم ياحابِسيه | ونيّتكم إذا نُصِب الصراط
فها هو مات عنكمْ واسترحتُم | فعاطوا ما أردتم أن تعاطوا
وحلّوا واعقدوا من غيرِ ردّ | عليكم وانطوى ذاك البساط



الفهـــرس

IBN TAYMIYAH DIVISION

(4)

TARJAMAT

SHAIKH AL-ISLAM: IBN TAYMIYAH

AL-TAREEKH AL-KABEER AL-MOQAFFA

FEE TARAJEM AHLE MISR WA AL-WARIDEEN ILAIHA

BY

AHMAD BEN ALI BEN ABDEL QADER AL-MAQRIZI

(DEAD: 845 A. H)

ASCERTAINED BY

MOHAMMAD I. AL - SHAIBANI

PUBLICATION OF THE HERITAGE, MANUSCRIPTS, AND DOCUMENTS CENTER

KUWAIT

44